البحث في تاريخ الشمال حصيلة سنة 2019

انجاز :وليد موحن

طالب باحث في سلك الدكتوارة جامعة الحسن الثاني المحمدية

إن الثورة المعلوماتية التي عرفها العالم إبان القرن الماضي ، لم تقتصر على مجال دون غيره، بل مست جميع ميادين الحياة الإنسانية، ولم ينج الوعاء المعرفي/الكتاب، من أثر هذه الثورة ، بل أصبح هو نفسه مُنافَساً من قبل حوامل أخرى للمعرفة أكثر دقة وأخف حملا وأكبر سعة . إلا أن ذلك لم ينقص من شأنه، بقدر ما كان خادما طيعا له، ساهم في التأريخ له وتوثيقه والتعريف به على أوسع نطاق، فازدهرت العلوم التي تتخذه موضوعا لها وتشعبت، لأن من أولى شروط الإبداع العلمي، معرفة السابق بتجميعه ونشره، "حفظا للطاقات والأموال والأوقات" ، وهذا ما يدخل في صميم العمل البيبليوغرافي.

ومعلوم أن الباحث والدارس يصعب عليه الاطلاع على مختلف ما دون حول ميدان تخصصه ،من كتب ودراسات وأبحاث خاصة مع الطفرة التكنولوجية ،والدينامكية المعلوماتية ،وأساليب البحث المتطورة .التي تلزم عليه الاطلاع على ما جاد من أبحاث ومقالات لمسيرة مسار العلم والثقافة والعولمة.وفي ضوء هذا الواقع أصبح الباحث بحاجة قبل كل شيء إلى مؤلفات تعرفه بما نشر وينشر تباعا في المعارف العامة والمتخصصة حتى يعرف بوجودها ويهتدي إليها ،وهو العمل الذي تقوم به الببليوغرافيا بأنواعها المتعددة وخدماتها المتنوعة .فأهمية الببليوغرافيا تنبع من أهمية المعلومات ذاتها لأنها الوسيلة الأولى،والأداة الأقوى للسيطرة على هذه المعلومات من خلال تنظيمها ،وتحليلها والتعريف بها .[1]

1- تاريخ الشمال مؤلفات واعلام خالدة

إن الحديث عن الكتابات والدراسات والأبحاث بالمنطقة الشمالية يقودنا دونما شك إلى شخصيات طبعت بأناملها كتابة تاريخ المنطقة .وقدمت الغالي والنفيس من وثائق وأرشيفات من أجل إماطة اللثام عن بعض القضايا التاريخية ،وحفرت في خباياها ،وأخرجتها ،وحققتها ،وعلقت عليها .

فلا يمكن الحديث عن المنطقة الشمالية وكتاباتها التاريخية دون الرجوع الى شخصيات طبعت التأريخ بهذه المنطقة منهم محمد ابن عزوز حكيم ،الذي خلف ورائه

[1] عبداللطيف صوفي،مدخل الى علم البيبليوغرافيا والآعمال البيبليوغرافية،دار المريخ للنشر،الرياض، ط1،1995 ، ،ص17

جملة من الدراسات الأساسية والرئيسية سواء تلك المتعلقة بتأسيس تطوان ، وهجرة الموريسكين ، أو تلك التي تتعلق بالحماية الاسبانية والحركة الوطنية .وقد برز المؤرخ محمد ابن عزوز حكيم بثباته في البحث واستمراريته وكرس جهوده لإغناء الموروث الثقافي المغربي. وكان عمدة في توضيح جوانب غامضة في تاريخ العلاقات المغربية الايبرية،فعمل على نفض الغبار عن بعض الملفات المغمورة فلا أحد ينكر مجهوده في التأكيد على السيادة المغربية على ما أغتصب من ترابها.ولا من مجحد لما بذله في إبراز دور الحركة الوطنية في الشمال في الدفاع عن مقدسات البلاد والتشبث بالوحدة الترابية والحرية.[2]

إضافة إلى شخصية عبد العزيز خلوق التمسماني[3] وكتاباته الثرة والمفيدة عن تاريخ المغرب المعاصر بشكل عام ،ومنطقة الشمال على نحو خاص.فمعلوم إن أمثال عبد العزيز خلوق التمسماني ليس من السهل تعويضهم اليوم بالجامعة المغربية فإسهاماته العلمية الغزيرة تجاوزت مدرجات الكلية إلى الساحات العمومية من خلال المحاضرة والصحافة والنشر وغيرها من ألوان الفائدة العامة والإشعاع الثقافي الأوسع ونقد بناء للأعمال الفكرية،وانفتاح على كل مكونات الهوية المغربية ،واطلاع على الوثائق غير العربية [4]،جعلته بحق من خيرت المؤرخين الذين أخرجتهم الآمة المغربية. وقد خص الدكتور أسامة الزكاري كتاب خاص يرصد فيه سيرة خلوق التمسماني العلمية وأهم انجازاته المعرفية، تحت عنوان "الدكتور عبد العزيز خلوق التمسماني :مسار مؤرخ وإشعاع سيرة ذهنية"

كما وجهت عدة مجلات أنظارها للمنطقة الشمالية لعل أهمها وأبرزها مجلة "دار النيابة" وهي عبارة عن مجلة فصلية وثائقية دراسية تاريخية تعنى بتاريخ المغرب كانت تنشر خلال الفترة الممتدة ما بين 1984 و 1991، وبلغ عدد أعدادها 28 ،تحت اشرف عبد العزيز خلوق التمسماني بمساعدة محمد أمين البزاز.زد على ذلك عدد من الندوات ،واللقاءات ،والأطروحات. التي جعلت من منطقة الشمال مركزا جغرافيا لها ، ومن فترة الحماية الاسبانية تاريخ لها.

[2] نزار التجديتي و عبد العزيز سعود،الاستاذ المؤرخ المخضرم محمد ابن عزوز حكيم "الجميع أصبح مؤرخا أو مقاوما،واما الحقيقة فهي ضائعة،مجلة سيميائيات المجلة المتوسطية للاشكال الحضارية،العدد1،ط 1،مطبعة الخليج العربي ،جمادى الثانية 1429،يوليوز 2008،ص 7

[3] من أبرز مؤرخي منطقة الشمال ،وحاضرة طنجة على نحو خاص. ولد سنة 1946 بطنجة, حصل على دكتوراه السلك الثالث في التاريخ سنة 1979, وفي سنة 1985 أحرز على دكتوراه الدولة, , بدأ النشر سنة 1979 بجريدة المحرر, له مقالات بعدة منابر: العربي (الكويت), الباحث, دراسات عربية (بيروت),... كما أنه كان يصدر مجلة « دار النيابة » منذ سنة 1984. التحق باتحاد كتاب المغرب سنة 1987هذا بالإضافة إلى إصدار عدد كبير من الكتب ناهز العشرين مؤلفا جلها يحفر في تاريخ منطقة الشمال .وافاه القدر المحتوم في يونيو من سنة 2008م.

[4] نزار التجديتي،عن أساتذة اليوم :المؤرخ عبد العزيز خلوق التمسماني قدوة، مجلة سيميائيات، المجلة المتوسطية للأشكال الحضاريةالعدد1، ط 1، مطبعة الخليج العربي ،جمادى الثانية 1429،يوليوز 2008،ص 97

أما بخصوص الكتابات المدونة بالإسبانية فقد كان من البديهي أن تتحرك أنامل الباحثين الاسبان مؤرخين وأدباء وعلماء للبحث في تاريخ المنطقة الشمالية والتأريخ لها ،ورصدها. بحكم سيطرتهم علي أرجائه،وتنفيذا لخططهم،وتتميز الكتابات الاسبانية عن المغرب بإيهام يشوبه الخلط أحيانا وتارة أخرى بوضوح لا يخلو من سذاجة لدى ذكر الطموحات والحقوق والواجبات بخصوص المغرب،شأنها في ذلك شأن من تشغله الذات أكثر مما يشغله الموضوع،فترد المبررات متميز متباينة أحيانا،وترد أحيانا متداخلة متشعبة.[5]وقد واكب عملية الاستعمار الاسباني للمغرب ظهور كثير من المؤلفات الاسبانية التي تعرف "بالرسالة التمدينية" التي تنجزها اسبانيا بالمغرب،وبصفة خاصة أثناء المرحلة الفرنكوية وقد غلب على تلك المؤلفات.قبل المرحلة الأخيرة وعمليات التهدئة التي سبقتها،التعريف بمشاكل اسبانيا في منطقة الحماية بشمال المغرب وطرح الحلول لها.هاته الحلول اختلفت باختلاف قناعات أصحابها الإيديولوجية.لكن غالبية أولئك المؤلفين ركزوا على ثنائية معروفة عند المختصين وغيرهم.هي ثنائية الحقوق التاريخية الاسبانية في المناطق المغربية التي تحتلها اسبانيا وما يترتب عنها من مقولات مثل رد الدين الحضاري،والمصير المشترك ووحدة المغرب وغيره .أما العنصر الآخر في تلك الثنائية،فهي الحقوق الجغرافية التي تقوم على التشابه الطبيعي والقرب الجغرافي وغيرهما[6]

وهذا لا ينفي وجود دراسات وأطروحات وأبحاث من باحثين اسبان جاءت كتابتهم حيادية بعيدة عن كل ذاتية وتعد إضافة نوعية في تاريخ المغرب بشكل عام والشمال على نحو خاص. مثلما يتجلى ذلك بالقلم السيال لطوماس كارسيا فيكراس Tomas Garcia Figueras. و كتابات الباحثة الاسبانية الكبيرة صاحبة الباع الكبير في التأريخ للعلاقات المغربية الاسبانيا ماريا روسا ذي ماذرياغا María Rosa de Madariaga

أما بخصوص المجالات التي أرخت لفترة الحماية الاسبانية فيمكن ذكر مجلة AL ANDALUS،وهي مجلة مدارس الدراسات العربية الاسبانية بمدريد وغرناطة،صدرت ابتداء من سنة 1933،وكانت لسان حال كبار المستعربين .

إضافة إلى مجلة AFRICA وهي دورية مصورة صدرت بإيعاز من الجنرال فرنكوا الذي كان رئيسا شرفيا لها،من معهد الدراسات الإفريقية ابتداء من سنة 1943،وهي ترمز إلى ما تعمده النظام الفرانكاوي من تنشيط الأبحاث الاسبانية في شؤون افريقيا عامة والمغرب على وجه التخصيص،ناهيك عن بعض المقالات عن مجلة Tamuda، وهي مجلة الأبحاث المغربية أصدرتها ابتداء من سنة 1953 نيابة التربية

[5]ابراهيم بوطالب،البحث الكولونيالي حول المجتمع المغربي في الفترة الاستعمارية حصيلة و تقويم،ضمن البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم،منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية،الرباط،ص 138

[6]نفسه ،ص 139

والثقافة بالمنطقة الخليفية بقصد مسايرة مجلة "هسبريس" Hespérs التي كانت تصدر بالمنطقة السلطانية،ولقد صدرت هذه المجلة إلى سنة 1959حيث تم دمجها مع هيسبريس ابتداء من سنة 1960.

وان كان اغلب الباحثين الاسبان وجهوا أنظارهم وسهام باحثهم ومجال تنقيبهم إلى التاريخ القديم وهو ما يتضح بصفة جلية في السلسة الممنهجة عن تاريخ المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ،التي صدرت بعض أجزائها قبل اختتام عهد الحماية بقليل،والتي نخص بالذكر منها أبحاث طارديل Tarrdel عن المغرب الفينيقي،وأبحاث

وينبغي القول أنه يستحيل كتابة تاريخ علمي "موضوعي" للمغرب عامة،وللمنطقة الشمالية منه خاصة،ما لم تؤخذ الوثائق الاسبانية بعين الاعتبار[7]

أما بخصوص الدراسات المدونة بالفرنسية فهي قليلة نوعا ما ،مقارنة بنظيراتها المكتوبة بلغة الضاد أو المحبورة باللغة الاسبانية.ذلك أن قليل من الدارسين الفرنسيين من وجه أنظاره للبحث والتنقيب في تاريخ شمال بالمغرب.إلا صفحات أو سطور بين متون كتاباتهم أو أطروحاتهم التي لامست من بعيد تاريخ الحماية الاسبانية ،مثل كتابات جون لوي مييج Jean louis Miége و شارل أندري جوليان. Charles André Julien.كما انجز العديد من الباحثين المغاربة أطروحاتهم باللغة الفرنسية مثلا الدكتور عبد المجيد بنجلون في أطروحته المعنونة " Contribution a l étude du mouvement nationaliste marocaine dans l ancien zone nord du Maroc 1930-1956 إضافة إلى جملة من المقالات المنشورة في مجموعة من المجالات.

2ـحصيلة سنة 2019 من النشر حول المنطقة الشمالية:

تجدر الاشارة الا اننا لم نعمل على جرد كلي شامل وجامع للدراسات والابحاث بل حاولنا ابراز بعضها،من اجل اعطاء لمحة حول مسارات ومألات الكتابة التاريخية حول الشمال خلال القرن 19م .

الكتب :

ـتاريخ الزعيم مولاي أحمد الريسوني، قائد ثورة القبائل الجبلية بشمال المغرب الطاهر بن عبد السلام بن عبد الوهاب الشريف اللهيوي الوهابي العلمي الإدريسي الحسني .

ـمحمد بن عبد الكريم الخطابي ومقاومة الاستعمار الإسباني :عثمان بناني

---

[7] محمد الشريف،أهمية الوثائق الاسبانية في المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان،مجلة أحوال المعرفة،العدد 22،السعودية،2001،ص 44

-الحياة الثقافية في شمال المغرب من خلال الصحافة المكتوبة، 1912-1956 هدى المجاطي ؛ تقديم عبد اللطيف شهبون

-فرنسا وحرب التحرير الريفية / تنسيق ذ. عبد الرحمان الطيبي القنيطرة : منتدى محمد عبد الكريم الخطابي للفكر والحوار، 2019.

- الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية ،تأليف محمد داود ،تحقيق ومراجعة حسناء داود .

-الرسالة الوزانية من سيدي التهامي الوزاني إلى محمد داود تقديم وتعليق حسناء محمد داود

-أصيلة: زمكانية المعالم الأثرية والتاريخية،المهماه عبد السلام

-شهادات تاريخية عبر بوابة طنجة عن مغرب القرنين 20-21 م. الجزء الأول، سير، تاريخ، جغرافية، تراث، أنساب، تراجم، سرديات، أحداث،المنصور محمد

-اشكاليات التسوية الأممية والدولية للجرائم والجنح الدولية: حالة حرب الريف الكيماوية الغلبزوري، محمد

-يهود تطوان، 1492-: دراسة في التاريخ والتحولات،عمر لمغيبشي.

-من تاريخ شفشاون. الجزء الأول الريسوني، طه بن فاروق

-تقاطع الأنظار في تنوع وثقافة بلاد الريف: شرق بلاد الريف في التاريخ والآثار والمعمار
الطاهري، أحمد

-بلاد الريف في أعماق تاريخ وثقافات البحر المتوسطالطاهري، أحمد

-الريف: التاريخ والذاكرة ،زاهد، محمد

-تدبير الموارد المائية بمدينة تطوان من خلال وثائق حبسية وعائلية ومخزنية، 1065-1386 هـ، 1655-1966 م،خالد الرامي

- الريف والسلطة المركزية: مقاربة تاريخية لأسباب التوتر،مصطفى اعراب

- **-Tanger du siècle XIX ou jeux de prince chers aux consuls de France ;Beroho ahmed**

- **Tetuán y su ferrocarril, 1918-2018 Mgara, Ahmed Mohamed**

المقالات :

-أهمية أرشيف بريلا في دراسة تاريخ الحركة الوطنية بشمال المغرب : عملية تحرير عبد الكريم الخطابي في القاهرة / امحمد بن عبود ،ضمن: سؤال الوثيقة في التراث الأندلسي والأرشيف الإسباني : أشغال اليوم الدراسي المنظم من قبل المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة بكلية الآداب بمكناس بتعاون مع مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بالرباط وبتنسيق مع شعبة التاريخ والحضارة بالكلية / تنسيق إبراهيم القادري بوتشيش، عبد الواحد أكمير. - مكناس : كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، 2019

-قراءة في كتاب "عبد الكريم الخطابي وأسطورة الانفصال (1921-1926) : حفريات نقدية في خطاب الجمهورية الريفية" للدكتور كحمد أونيا .عمر أشهبار :ضمن : الخزامى للدراسات القانونية والاجتماعية : مجلة علمية محكمة نصف سنوية. - ع. 2، 2019، ص. 389-405

-إشكاليات تخليص العلاقة المغربية-الإسبانية من ثقل الماضي : حرب الريف الكيماوية 1921-1926 نموذجا /. محمد الغلبزوري:ضمن مجلة الخزامى للدراسات القانونية والاجتماعية : مجلة علمية محكمة نصف سنوية. - ع. 2، 2019، ص. 175-186.

-أجدير بني ورياغل : قاعدة ثورة الريف / عبد المالك ناصري،ضمن زمان : المغرب كما كان. - ع. 63، 2019، ص. 72-75

- مصداقية الوثيقة الشفوية من خلال شهادة مجند مغربي بالحرب الأهلية الإسبانية، 1936-1939، مصطفى المرون ضمن : سؤال الوثيقة في التراث الأندلسي والأرشيف الإسباني : أشغال اليوم الدراسي المنظم من قبل المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة بكلية الآداب بمكناس بتعاون مع مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بالرباط وبتنسيق مع شعبة التاريخ والحضارة بالكلية / تنسيق إبراهيم القادري بوتشيش، عبد الواحد أكمير. - مكناس : كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، 2019،ص : ص. 251-269

-مدينة القصر الكبير بين الماضي والحاضر مقاربة تاريخية وأنية ،وليد موحن ،ضمن مجلة مدارات تاريخية ، المجلد الأول، العدد الخاص، أفريل 2019.ص 366 -375

-وثائق الأرشيف الإسباني الخاصة بمنطقة الحماية الإسبانية بالمغرب، 1912 م-1956: أزيزا، ميمون ، أشغال اليوم الدراسي المنظم من قبل المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة بكلية الآداب بمكناس بتعاون مع مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بالرباط وبتنسيق مع شعبة التاريخ والحضارة بالكلية / تنسيق إبراهيم القادري بوتشيش، عبد الواحد أكمير. - مكناس : كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، 2019،ص : ص. 241-250

- البعد الجمالي في سياسة التخطيط الحضري بشمال المغرب خلال الفترة الاستعمارية/سعيد الحاجي ،ضمن :تدبير المجالات الحضرية بالمغرب في سياق متغير ،منشورات مركز تكامل للدراسات والمعارف.

- الماسونية بشمال المغرب والريف ،براص، محمد:ضمن مجلة زمان : المغرب كما كان. - ع. 70-71، 2019، ص. 78-81.

-Le port de Tétouan : de 'Martin(e)' à 'Martil' ou L'histoire d'une assimilation linguistique / Rachid el Hadari /Basamat : revue de la Faculté des lettres et des sciences humaines Ben M'Sik (Casablanca). - N° 08, [2019], , p. 5-12.

- **Le site d'Al Mazamma entre le potentiel archéologique et les perspectives de mise en valeur/ Miradas crusadas diversidad y :Elazouzi, Mohammed in cultura del Rif. - Sevilla : Fundacion al-Idrisi Hispano Marroqui, 2019. -P. 119-134**
- **La vie espagnole de Mohamed Meziane/ Kozlowski, Nina : Zamane : le Maroc d'hier et d'aujourd'hui. - N.98, 2019, p. 60-65. -**

الاطروحات الجامعية:

-أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص تاريخ معاصر، تقدم بها الطالب الباحث سعيد اغزيل في موضوع " قبيلة أنجرة والاستعمار الإسباني (1912 – 1956) بكلية الآداب والعلوم الانسانية عبد المالك السعدي تطوان-مرتيل .

-أطروحة لنيل شهادة الدكتواره تخصص التاريخ المعاصر ،تقدمت بها الباحثة "ليلى القبيبي السنوني" في موضوع "تاريخ الاسر العلمية بمدينة طنجة خلال النصف

الثاني من القرن 19 والنصف الاول من القرن 20 م) بكلية الآداب والعلوم الانسانية عبد المالك السعدي تطوان-مرتيل

-أطروحة لنيل شهادة الدكتواره تخصص الاداب ،تقدم بها الطالب الباحث أنس اليملاحي في موضوع "دور الصحافة في شمال المغرب في الدفاع عن استقلال المغرب خلال الفترة ما بين 1912 و 1956 " بكلية الاداب والعلوم الانسانية عبد المالك السعدي تطوان-مرتيل

الرسائل الجامعية :

-رسالة تقدم بها الطالب الباحث عزيز اللغميش لنيل شهادة الماستر تحت عنوان " "قبيلة بني عروس مساهمة في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بالشمال الغربي للمغرب"بكلية الآداب والعلوم الانسانية عبد المالك السعدي تطوان-مرتيل.

-رسالة تقدم بها الطالب الباحث يوسف العطوشية لنيل شهادة الماستر تحت عنوان "قبائل غمارة من خلال أرشيف كارلوس بيريدا ما بين 1927-1956""بكلية الآداب والعلوم الانسانية عبد المالك السعدي تطوان-مرتيل

-رسالة تقدم بها الطالب الباحث أحمد العبدلاوي لنيل شهادة الماستر تحت عنوان "مؤسسة الخلافة السلطانية بمنطقة شمال المغرب الثابت والمتغير 1913-1956م"بكلية الاداب والعلوم الانسانية محمد الخامس الرباط .

-رسالة تقدم بها الطالب الباحث عماد أدرداك لنيل شهادة الماستر تحت عنوان "لحملة المخزنية على قبيلة بقيوة سنة 1898م: السياق والتداعيات: بكلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة.

على سبيل الختام :

ان المتفحص لهذه الدراسات –التي لا ندعي حصرها بشكل كلي - ،يمكنه الخروج بمجموعة من الملاحظات الاساسية :

- **معظم الدراسات والابحاث وجهت للفترة المعاصرة ،بينما ظلت الحقب التاريخية الاخرى في منأى عن الدراسة والتنقيب الا لماما .**
- **استهوت الحماية الاسبانية اقلام المؤرخين بحثا وتنقيبا ورصدا والدليل على ذلك ان مجمل الانتاج العلمي المحبور على الفترة بلور هذا التوجه .**

- **غياب مجلات متخصصة في تاريخ الشمال ،على شاكلة مجلات كانت رايتها عالية في المضمار ،لاسيما :دار النيابة ،الطنجيون ...**
- **غياب الاهتمام بالتراث المخطوط للمنطقة الشمالية الذي من شانه ايضاح مسارات وتجليات رئيسية حول المنطقة الشمالية .**
- **ضرورة الاهتمام ببحوث الطلبة الباحثين لما فيها من معطيات متميزة وقمينة بان تنشر وتخرج الى حيز الطبع ويستفاد منها .**
- **تراجع الانتاج الاجنبي المتعلق بالبحث والتنقيب في تاريخ شمال المغرب بمختلف فتراته وحقبه.**